

الحرقة عنف مجتمع أم عنف شباب؟

قراءة سيكو- سوسولوجية لظاهرة الهجرة غير الشرعية في الجزائر

. فيروز مامي زرارقة

2

ملخص

تبيننا للسلوكات العنيفة كتصور محوري في بحث موضوع الحرقة نابع نظرنا إلى هذا التصور كوحدة سلوكية ذات طابع جماعي أكثر منه فردي مانح للغطاء المشرع والمبرر لممارسة العنف على أساس أن هذا الأخير ما هو إلا رد فعل شرعي

بـ

هي إلا تجليات لميكانيزمات نفسية جعلتهم يهاجرون بطرق غير مشروعة، كالحيل الدفاعية التي يستخدمها الفرد للهروب من مشكلة ما، ومن هذه الحيل الإزاحة والتبرير التي تستخدم من اجل التغلب على الصراع النفسي والخروج من دائرة الإحباط

ونحن في هذا الصدد نسعى إلى تحليل هذه الظاهرة انط

النفس الشخصية و كذلك نظريات علم الاجتماع في تفسير سلوك هذه الفئة من المجتمع و وصولا إلى تحقيق الهدف العلمي من معرفة العلاقات الترابطية المسببة لهذه

ومن خلال هذه القراءة أيضا نحاول وضع إستراتيجية للحد من الانتحار

ل الدعوة إلى العناية

بـ

الرعاية الجادة بهذه الشريحة في جميع المستويات.

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير الشرعية، السلوك العنفي،

Résumé

Si nous adoptons des comportements violents sur le sujet de l'immigration clandestine provient de notre point de vue de cette perception comme un comportement d'un caractère collectif plutôt qu'individuel, qui donne une couverture légitime et une justification de la violence au motif que celui-ci est seulement une réaction légitime contre la violence de la société et l'État sur les jeunes.

Et à cet égard nous cherchons à analyser ce phénomène a base des théories de la psychologie et de la sociologie.

Grâce à cette lecture aussi nous essayons d'élaborer une stratégie pour réduire le suicide de masse, qui a coûté la communauté et des dommages psychologiques en appelant l'attention sur le grave et les soins dans ce segment à tous les niveaux.

Mots clés : L'immigration clandestine, le comportement violent, les attractions, les facteurs d'incitation, les jeunes, la marginalisation.

Summary:

If we adopt the behaviors of violent as central conception in the research about Harga stems from our view of this perception as a behavioral relevant collective character rather than an individual which give the Legitimacy and justification cover for violence on the grounds that the latter is only a reaction legit against violent act authoritarian practices by society and the State the youth category, and in this regard we seek to analyze this phenomenon from theories of personal Psychology as well as theories of sociology in the interpretation of the behavior of this group of society and the way to achieve the goal of scientific knowledge of relational ties that cause this phenomenon.

Through this reading also try to develop a strategy to reduce the mass suicide, which cost the community a material and psychological losses by calling to take attention and a serious

Keywords: : illegal immigration, violent behavior, attractions, pushes factors, youth, and marginalization

الهجرة ظاهرة اجتماعية مستمرة عرفت منذ القديم، حيث كان الإنسان يرحل و يهاجر من مكان إلى آخر دون قيد أو عائق، حتى ظهور الثورة الصناعية و ما تبعها من تطور في القوانين المحلية و الدولية أين فرضت جوازات السفر و تأشيرات غرار الهجرة في السابق التي

كانت تتم بصورة انسيابية تبعا لأغراض محددة سابقا فان اعتماد مبدأ الحدود الذي وضعه الاستعمار بطرقه العسكرية أو الاقتصادية للفصل بين الدول ، و نزاع المصالح السياسية و الاقتصادية حد من الهجرة النظامية و بالتالي نشأت هجرة موازية تسمى بالهجرة السرية أو غير الشرعية، أو ما يعرف بظاهرة الحرقة، حيث يعبر عنها في اللهجة الجزائرية بالهجرة للدلالة على ضرورة الإسراع في الحرقة قبل فوات الأوان، و هي آخر حلقة تعرض من مسلسل السعي وراء الهجرة سبقتها حلقات أخرى تتالت أحداثها وفق وتيرة تصاعديّة من المهاجر إلى الحراق.

تبينا للسلوكات العنيفة كتصور محوري في بحث موضوع الحرقة نابع من نظرنا إلى هذا التصور كوحدة سلوكية ذات طابع جماعي أكثر منه فردي مانح للغطاء المشرعن والمبرر لممارسة العنف على أساس أن هذا الأخير ما هو إلا رد فعل شرعي



وتعد الهجرة السرية أو غير القانونية ظاهرة عالمية موجودة في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد الأوربي أو في دول الخليج ودول المشرق العربي و في أمريكا اللاتينية ، لكن الهجرة إلى أوربا اكتسبت طابعا إعلاميا منقطع النظير حيث أصبحت إحدى القضايا المزعجة للدول والحكومات و المنظمات غير الحكومية في حوض البحر الأبيض المتوسط و تحظى باهتمام واسع أثناء السنوات الأخيرة، فرغم تعدد الأسباب المؤدية إلى هذه الظاهرة فلم يتمكن من تحديد حجمها الفعلي نظرا للطبيعة غير الرسمية التي تكتسيها الظاهرة.

أولا: الأبعاد الاجتماعية لمشكلة الهجرة في بلدان المغرب العربي

تعد الهجرة من أهم العوامل المؤثرة في النمو السكاني، و تعرف بأنها انتقال الفرد أو الجماعة من مكان إلى آخر، بغرض الاستقرار في المكان الجديد، و يستثنى المحددة كما في حالات

تعرف في علم السكان () هـ - فرديا كان أم جماعيا-

موقع إلى آخر بحثا عن وضع أفضل اجتماعيا أو اقتصاديا أو دينيا أو سياسيا.
أما في علم الاجتماع فتدل ظاهرة الهجرة على تبدل الحالة الاجتماعية كتغيير
الحرفة أو الطبقة الاجتماعية وغيرها، فالهجرة تعني انتقال فرد أو جماعة من منطقة إلى
أخرى بحثا عن عمل خارج أو داخل البلد لتحسين ظروف الحياة وما يصاحبه من
تغيرات.

كما أنها ظاهرة اجتماعية مستمرة عرفت منذ القديم مع وجود الإنسان،
ي تعني الانتقال الذي يقوم به الإنسان إلى مكان آخر، وهي عملية ديمغرافية سواء

(1)

أما الهجرة غير الشرعية فتعني انتقال أفراد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر
بطرق سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دوليا.

أما في الجزائر فنجد أن الهجرة غير شرعية هو الاتجاه نحو الضفة الشمالية
للبحر المتوسط بدون وثائق رسمية عبر قوارب الموت، بتأشيرات مزورة و الذهاب
(2) أما المصطلح المغربي الم "الحراق" معناه

حرق كل الروابط و الأواصر التي تربط الفرد بجذوره وهويته على أمل أن يجد هوية
جديدة في بلدان الاستقبال، ()، و الحراق دال على إصرار
هؤلاء الشباب على الهجرة بأي ثمن ولو على حساب حياتهم وبكل الطرق والوسائل
عبر قوارب الموت، شاحنات البضائع، عقود عمل مزورة، الزواج الأبيض، ذهاب
... الخ. (3) كل هذه الطرق تؤدي إلى هدف واحد، يتمثل في

ترك دائرة الفقر و الحرمان ومغادرته بدون رجعة. كل هذه العوامل تغذي الرغبة في
الهجرة، وهذا النزوح هو أقوى عند الشباب كما تدل على ذلك مختلف المسوح التي
أجريت في هذا الشأن في دول المغرب العربي والتي تبرز بعضها أن الرغبة في الهجرة في

%19

تبلغ 54%. (4) ولم تعد حالة الهجرة السرية في المغرب العربي تعكس الصورة التقليدية التي كانت سائدة في بداية التسعينات والتي كانت تتميز هيمنة المحاولات المعزولة التي كان يقوم بها مواطنون مغاربة، بل أخذت عمليات الهجرة السرية تعتمد

ولسنا هنا بحاجة إلى إعادة تقرير المسلمة التي أصبحت بديهية لدى العام والخاص، و التي تشير إلى وجود شروخ و انشطارات هيكلية الاجتماعية، ووجود تنافر واندحار للفئات الاجتماعية داخل البلدان السائرة في طريق الانعكاسات الإيجابية والسلبية التي أدت إلى بروز ظواهر اجتماعية طفت على

العمودية التي مورست وتمارس عليهم وضدهم إعادة إنتاجها أفقيا وتوجيهها ضد بقية أفراد المجتمع وضد أنفسهم، حيث يطغى على السلوكات العنيفة الجانب الانفعالي إلى أحداث عنف وشغب كبيرين، فالعنف إذن وسيلة للتعبير عن الإحباط الاجتماعي، حيث أن المجتمع الجزائري لم يتح لشبابه إلا دورا واحدا هو دور المفعول به أو فيه، أما دوري الفاعل الرئيسي والثانوي فمنحها لفئات أخرى مهيمنة ومحتكرة للسلطة السياسية والاقتصادية لم يبق أمام الشباب للتعبير ومحاولة الفعل إلا استغلال الفضاءات ()

في الملاعب والشارع والأنشطة التجارية بآليات يضعها لنفسه بعيدا عن الضوابط الرسمية ويمارس الفعل الثقافي والتعليمي من زاوية ضيقة جد ما هو ديني.

و غالبا ما تتفاوت الإحصائيات التي تقدمها الجهات المختلفة لأعداد المهاجرين غير الشرعيين و تقدر منظمة العمل الدولية حجم الهجرة السرية بين 10 و 15 % من عدد المهاجرين في العالم و البالغ عددهم حسب التقديرات الأخيرة المتحده حوالي 180 مليون شخص.

أما في تقرير منظمة الهجرة الدولية فان مؤشر حجم الهجرة الغير قانونية إلى الاتحاد الأوروبي يصل إلى 15 .

وتذكر إحصائيات القوات البحرية الجزائرية للسنوات الثلاث الأخيرة أن 2340 شخصا تم توقيفهم علما أن عدد المهاجرين غير ال 5

2005 336 شخصا، كما لم تتمكن

60 من الجثث المتشلة و تبقى هذه الإحصاءات غير

ثابتة، وحسب منظمة الهجرة الدولية فإن حجم الهجرة غير القانونية في دول الاتحاد الأوروبي يصل لنحو 1.5 مليون شخص. (5)

وتقدر الأمم المتحدة أعداد المهاجرين غير الشرعيين إلى دول العالم المتقدم خلال السنوات العشر الأخيرة بنحو 155 مليون شخص. (6)

هذا وتوقعت المنظمة الدولية للهجرة في تقرير أصدرته مؤخراً ازدياد الهجرة غير المنظمة جراء الأزمة الاقتصادية التي يشهدها العالم الآن والتي لا هذه الزيادة نظراً لطبيعتها، حوالي 15% من المهاجرين في العالم غير نظاميين.

ويعتقد العديد من المراقبين للهجرة الدولية أن أعداد المهاجرين غير النظاميين في دول منظمة ال (OECD) يصل إلى العشرين مليون عامل، ومعظم هؤلاء العمال دخلوا إلى تلك الدول في العشر سنوات الأخيرة، مشيرين إلى أن العمال غير الموثقين أو الذين لا يعملون في إطار منظم عادة ما يعملون في ظروف عمل أكثر سوءاً من غيرهم من العمال وهناك عدد كبير من أصحاب الأعمال

يفضلون تشغيل هذا النوع من العمال من أجل الربح من المنافسة غير العادلة (7).
ويصعب تحديد حجم الهجرة غير المنظمة نظراً لطبيعتها، ولكون وضع المهاجر السري

:

1. الأشخاص الذين يدخلون بطريقة غير قانونية د

وضعهم القانوني.

2

3. الأشخاص الذين يشتغلون بطريقة غير قانونية خلال إقامة مسموح بها.

وفي أسوأ الظروف فإن العمال المهاجرين غير النظاميين

بالعمل العبودي وهم نادراً ما يلجأون للقضاء خشية التعرض للطرده أو الإبعاد، وفي
العديد من الدول لا يملكون حق الطعن على القرارات الإدارية التي تؤثر عليهم.

وفي هذا السياق حلت الاتفاقيات الاقتصادية وبقايا الامتيازات في التبادل
الاقتصادي الدولي وتقسيم العمل الدولي محل الجيوش، ونتيجة لذلك استمرت
وتعمقت أزمات الهياكل الاقتصادية وعمليات التنمية في دول العالم الثالث في مرحلة
الأنظمة الوطنية، ومع الاستقطاب الدولي السابق بين معسكرين بدت أوروبا والهجرة
إليها حلماً وحلاً لبؤس الملايين في دول العالم الثالث، وبدأت موجة الهجرة بغرض
العمل أو التوطين في أوروبا وأمريكا كآثر لما أحدثته الاستعمار والامبريالية وتقسيم
العمل الامبريالي في بلدانهم مع تشوه هياكل وغياب التنمية الحقيقية وتدني مستويات
الحياة وفرص العمل والدخول فيها.

ويتضح من كل ما سبق التباين الكبير في

المصدرة للمهاجرين، والتي تشهد - - افتقاراً إلى عمليات التنمية، وقلة فرص
العمل، وانخفاض الأجور ومستويات المعيشة، وما يقابله من ارتفاع مستوى المعيشة،
والحاجة إلى الأيدي العاملة في الدول المستقبلية للمهاجرين فالقوارق الاقتصاد

البلدان المتقدمة والبلدان النامية كبيرة، كما أن تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية في

-

ديكتاتورية، وقضايا أقليات ونزاعات إقليمية، إلى جانب انتشار الفقر والبطالة وحوادث الكثير من الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل والفيضانات والجفاف- ساعد على زيادة تدفق أعداد المهاجرين غير الشرعيين في موجات متتابة. إن انتقال البشر من بلد أصلي للعمل في بلد آخر مستضيف لا يمكن اعتبارها

كل الشعوب ومنها منطقة الاتحاد الأوروبي، وستستمر لفترات طويلة من الزمن، مادام هناك تباين في الموارد وفرص العمل ووسائل وأساليب الحياة سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي، وهو ما ولد سلوكيات عنفية رمزية اتجاه الذات واتجاه الوطن ... إضافة إلى استمرار حاجة

الدول المتقدمة لاستقبال مهاجرين جدد وذلك لأسباب مختلفة، وتبقى عملية البحث عن الأفضل من أهم العوامل المؤثرة على تيارات الهجرة وتحديد اتجاهاتها.

وفي تقديرنا أن أوروبا تتحمل المسؤولية التاريخية والأخلاقية فيما يخص موضوع الحرق، فقسط كبير من رفاهيتها وتقدمها ناتج عن فائض القيمة التاريخي الذي جمعه إبان استعمارها المباشر لدول الجنوب، ولهذا لا يحق لها، وفق منطق الأشياء، أن تحمل

ه ه

، هناك عدة عوامل كانت نتاجاً مباشراً أو غير مباشر

: أنظمة الاستبداد الوطني أو الأنظمة الموالية للغرب

التي كانت عامل طرد ودفع إلى اللجوء، كذلك كان التمييز الديني والعرقي في مجتمعات شوه نموها وبنيتها وتكوينها الثقافي عمداً، مما أدى إلى حروب أهلية وسلوكيات عنفية وإرهابية داخلية نزع بسببها الملايين إلى الخارج في هجرات أو طلباً

(8).

كما أن هناك قناعة ذاتية أن الحرقة ما هي إلا ترجمة لواقع يشوبه الخلل وإلحاقها ردود فعل يائسة لشباب فقدوا أي إحساس بالمواطنة و الانتماء لوطن لم يمنحهم

يذهب بالتحليل لظاهرة الحرقة لأبعد من التفسير السوسيو- (...)

والاجتماعي ولكنها لا تقف عندهما فحسب لأن الحرقة تتعدى الرغبة في تحسين الوضع الاقتصادي إلى السعي لتحقيق الذات، فالعنف في هذا الإطار يوظف كأداة رئيسية في مواجهة السيطرة التي يمارسها المجتمع والدولة على فئة الشباب وهو كقيمة

لشباب طرفا غير شرعي ومجسد في السلطة السياسية الاقتصادية

ثانيا: التحليل السوسولوجي لظاهرة الحرقة

لا أحد يشك في أن واقع البلدان المتخلفة ازداد سوءا بظهور ظواهر اجتماعية تتقدمها ظاهرة الهجرة عموما والسرية خصوصا في ظل الشروط الدولية التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، حيث نمت الكثير من العلاقات بين الدول المتقاربة من الناحية الجغرافية، خاصة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وهكذا برزت إلى الوجود

شمالا أو شرقا، هذه التكتلات الدولية لم تأت إلا استجابة للعديد من المطالب في إطار المصالح المشتركة، مندرجة ضمن الحوار الحضاري بين شعوب تلك البلدان، في محاولة لإقناع العديد من الفرقاء الاجتماعيين والاقتصاديين، للانخراط في العديد من الأوراش الاقتصادية والسياسية والثقافية و للإجابة عن العديد من التي استفحلت تباعا، كنتائج لهذه التطورات الرأسمالية (الهجرة السرية، الجريمة المنظمة، المخدرات، الإرهاب الدولي...).

وإذا كانت الهجرة بصفة عامة تطرح مشكلات خاصة بها تتعلق أساسا بالاندماج وتمتع المهاجرين بكافة الحقوق وفقا للقوانين المحلية و الأكثر إثارة للقلق تتعلق بالهجرة غير الشرعية أو السرية، حيث ينظر إليها باعتبارها عملية معقدة وغير متجانسة وبالإمكان تحليلها من منظورات عديدة في إطار نماذج تصورية متباينة، كما أن الفكرة الأساسية التي نجدتها في التراث المهتم بالهجرة هي رة السكان إلى الشمال وكان العالم السويدي كريجر Kryger 1764

من قام بدراسة حول أسباب الهجرة التي من أهمها حسب هذه الدراسة انخفاض الأجور والفقير في بعض القطاعات والضرائب غير العادلة وتدهور نظام التأمين لافسيور

أساسيين هما:

(9).

إن التحليل السوسولوجي لظاهرة الهجرة يمكن النظر إليه من خلال المستويات التصورية التي طرحت من طرف علماء الاجتماع في محاولة لتفسير ظاهرة الهجرة بصفة عامة، ذلك أن الهجرة غير الشرعية ماهي إلا الطريقة أو الأسلوب السري وغير القانوني للهجرة، وبالتالي فإن أية محاولة لتفسيرها لا يمكن أن تخرج عن التفسيرات العامة لظاهرة الهجرة، وفي هذا السياق نعتقد أن نظرية عوامل الطرد والجذب

أهم النظريات التي صنفت أسباب الهجرة ومن ثمة الهجرة غير الشرعية إلى مجموعتين عوامل الطرد البسيطة : في الفقر الناتج من عوامل بنائية تتعل

السكاني السريع وعمليات التنافس على الغذاء والموارد الأخرى، والاضطهاد والعزلة عوامل الطرد الصعبة فتتمثل، في الحروب والصراعات الاجتماعية بين الأقليات وغياب العدالة الاجتماعية والاقتصادية مما يؤدي إلى انتشار الجماعات في البلاد الفقيرة التي يقل فيها الغذاء أو بسبب النزاعات العرقية إلى جانب الكوارث البيئية كالزلازل والبراكين والتلوث الناجم عن المصانع أو التجارب النووية والكيميائية.

أما عوامل الجذب فتتمثل عادة في الثروة في مجتمعات الشمال حيث يجذب إليها المهاجرون غير الشرعيون من أجل الخروج من دائرة الفقر والحرمان ولتكوين مستقبلهم ومستقبل أبنائهم في مدة زمنية قصيرة مقارنة مع بقائهم في موطنهم الأصلي، وهو ما يجعلهم يقبلون على أي عمل مهما كان صعبا وغير إنساني كالعمل كخادم وعبيد، وكذلك العمل لمدة طويلة في اليوم تفوق قيمة الأجر المقدم.

نا إلى التفسير البنائي الوظيفي للهجرة ، فنجد هذا الاتجاه يركز على الهجرة من الريف إلى المدينة، سواء الهجرة الداخلية أو الدولية، حيث تتوفر في المدينة فرص العمل والخدمات المتعددة كالكهرباء والسكن المريح وكافة الوسائل الترفيهية، زيمل أول من تنبه إلى أن الحياة في المدينة تشكل ذهنية خاصة حضرية يتميز على أساسها سلوك وطراز حياة السكان ومن ثم يجد المهاجر إليها أنماط وأساليب حياة مختلفة عما تعود عليه(10)، ونظرا لما تتمتع به المدينة من خصوصية في الجانب الحضري والتطور الاقتصادي والاجتماعي والترفيهي، فقد أصبحت محط

الكثير من الشباب الذين يقطنون المناطق الريفية أو البلدان المتخلفة، حيث تعد باريس وأمريكا ولندن وإسبانيا وإيطاليا حلم الكثير من الشباب العربي والجزائري سواء الحضري أو الريفي، الذين يحاولون الوصول إليها بشتى الوسائل ولو في قوارب متآكلة ب الموت لعدم ملاءمتها للسفر إلى أماكن بعيدة ولعدم شرعية وقانونية ،، في حين تذهب نظرية التغيير الاجتماعي إلى تفسير ظاهرة

الهجرة الحرقية إلى عوامل التغيير الاجتماعي التي يتميز بها المجتمع خاصة عدم الاستقرار خلال المراحل التاريخية التي قدمها "

:(11)

- مرحلة المجتمع التقليدي، التي كانت فيه الهجرة محدودة وذات طابع دوري

- مرحلة المجتمع الانتقالي الذي يتميز بزيادة معدلات الإنجاب مما نتج عنه الهجرة الريفية الحضرية.
- المجتمع الانتقالي في مراحله المتأخرة، حيث تقلص معدلات الزيادة السكانية، ومن ثم نقص معدلات الهجرة.
- مرحلة المجتمع المتقدم الذي يتميز بانخفاض معدل الإنجاب ونقص الهجرة من الريف إلى المدينة مما شجع المهاجرون الشرعيون وغير الشرعيون للهجرة إلى هذه المجتمعات للحصول على فرص أكبر للعمل وتحسين الظروف

إن هذه التغيرات التي قدمها " " مرتبطة بالتغيرات الحاصلة في المجتمعات الغربية ولا تعكس بالضرورة واقع المجتمعات التي يهاجر مواطنوها والتي تعاني من الفقر والعنف والحروب والاضطهاد السياسي والاجتماعية في توزيع الثروة الوطنية ومنه يلجأ مواطنوها إلى الهجرة إلى البلدان الأكثر تقدما وانفتاحا على حقوق الإنسان والحريات، حيث يتضح ذلك من التباين الكبير في المستوى الاقتصادي بين البلدان المصدرة للمهاجرين، والتي تشهد - - تقارا إلى عمليات التنمية، وقلة فرص العمل، وانخفاض الأجور ومستويات المعيشة، وما يقابله من ارتفاع مستوى المعيشة، والحاجة إلى الأيدي العاملة في الدول المستقبلية للمهاجرين، فالفوارق الاقتصادية بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية كبيرة، كما أن منية والاقتصادية في العديد من دول الجنوب ساعد على زيادة تدفق أعداد المهاجرين غير الشرعيين في موجات متتابة، وتبقى عملية البحث عن الأفضل من أهم العوامل المؤثرة على تيارات الهجرة وتحديد اتجاهاتها.

ثالثا: التحليل السيكولوجي لظاهرة الحرق:

الشباب غير المشروعة لها دوافع نفسية وليدة البطالة والفراغ الذي يعانون منه مما قد يسبب لهم حالة من الضيق والاكتئاب النفسي الذي

يدفع بهم إلى الهجرة بحثا عن حياة أفضل في الضفة الشمالية للبحر المتوسط ، وهذه الظاهرة ما هي إلا تجليات لميكانيزمات النفسية كالحيل الدفاعية التي يستخدمها الفرد للهروب من مشكلة ما، ومن هذه الحيل الإزاحة وهي دفع النموذج السيئ. و في هذه الحالة التخلص من البطالة أو الصورة السيئة التي كوّنها إزاء نفسه حيث أن مفهوم الذات يوجه السلوك ويمثل القوة الدافعة له، فالمفهوم الإيجابي يدفع بالفرد إلى مواجهة المواقف الحياتية بشجاعة وثقة، و من جهة أخرى يشعر الشخص صاحب الصورة السلبية بالعجز الذي قد يوقعه في مغبة الاضطرابات والانحرافات السلوكية، ومن أجل تبرير تصرفاته يلجئ إلى ميكانيزم آخر يعتمد على التبرير، أي أن الشاب عندما يسعى للحرقه ويلقى بنفسه إلى التهلكة أو يقع في دائرة المحذور في ، يستعمل مبررات متعددة هروبا من المشكلة فيكون التبرير بهذا الشكل أنه في حاجة ماسة إلى المال وأنه سافر بحثا عن الرزق وأنه لديه طموح وأنه يريد أن يكون مثل زملائه في المستوى المادي والاجتماعي، و هذه الحيل الدفاعية تستخدم الناحية النفسية من أجل التغلب على الصراع النفسي والخروج من دائرة الإحباط

- فالحرقه تأكيد على طغيان ثلاث مكونات في نفسية الشباب الجزائري تحدد بقوة سلوكياتهم تجاه ما هو سياسي واجتماعي هي(12):
- ✓ : تظهر في استعدادهم لأن تأكلهم أسماك البحر
 - ✓ : تجاه الخطاب السياسي الشعبي وعوده المتكررة بغد أحسن
 - ✓ : تحدي المجتمع والدولة بعزمهم على تكرار محاولة الحرقه مرة تلوى

بشكل عام يمثل سلوك الحرقه نموذجاً لسوك عنفي منحرف وطريقة سالبة لتحقيق دفعات الهو، بحيث يسلك الفرد بطريقة مضادة لما يمثله المجتمع من قيم ومعايير، و بالتالي يتعرض الشباب قبل مرحلة الحرقه لضغوط نفسية وهذه الضغوط ناتجة عن عدم الرضا على الذات بسبب عدم قدرته على هذه الوضعية آثار جانبية سلبية على نمو شخصيته وتوازنها حيث تنتج عدة حالات

وقد خلص كل من نوردنمك Nordenmark وستراندر Strandh في دراستهم حول الوظائف النفسية لدى الفرد المتوافق نفسياً و اجتماعياً ، إلى

:

- 1-
- 2-
- 3- يعزز النمو الاجتماعي، المتمثل في المشاركة في تحقيق المصلحة العامة.
- 4- - المكانة والهوية
- 5-

كما أن للعمل فعالية في ذاته حيث

البطالة خاصة في الدول المتقدمة ومع ذلك لا تخلو تلك الفئات تقريبا من نفس الآثار السيكولوجية الموجودة لدى العاطلين، إذ أن غياب مفهوم الدور في الحياة الخاصة والاجتماعية للفرد يؤزم علاقاته بمحيطه ويشعره بعدم السعادة وبوضعية ملك الذي لا ينتج شيئا، وهي وضعية تتميز بكونها تؤدي إلى حالات شديدة من الاكتئاب فيلجأ العاطل عن العمل إلى الهروب من الواقع والانعزال واللجوء إلى ما هو مخالف للقوانين في حالتنا هذه مخالفة القوانين الدولية و هذا بالتسلسل إلى دول أوروبا بدون تأشيرة، ولعل محاولات العاطلين تلخص هذه الوضعية.

كما أن فرويد يرى أن وظيفة الأنا، التوسط بين دوافع الهو وضوابط الأنا : إن الطاقة لا تفتى ولا

تتبدد وإنما تتحول من حالة إلى أخرى، لذلك إذا قامت الأنا بدفع بعض مشاعر الهو إلى اللاشعور فإنها لا تخفت ولا تنتهي وإنما ستتحوّل إلى نمط آخر من أنماط السلوك، ولتتمكن الأنا من التوسط بين الهو والأنا الأعلى ستستخدم ما يعرف بجيل الدفاع أو :

1. التسوية : وفيه يحاول الفرد إعطاء مبررات منطقية ومقنعة للآخرين لفشله في تأدية واجبه كأن يبرر عدم دراسته ليلة الامتحان بأنه كان عنده ضيوف.

2 : وهو محاولة تناسي الدوافع ودفعها إلى عالم اللاشعور كأن يكف الفرد عن مواجهة الطرف الآخر ويحاول تناسي الأمر.

3 : وهو محاولة الفرد توجيه اللوم إلى شخص آخر غير مصدر القلق الحقيقي كأن توجه الأم غضبها إلى أطفالها بدلاً من زوجها.

4 . التقمص : وهو محاولة الفرد تقليد شخص يتمتع بصفة محببة لديه ويكون هذا الفرد عاجزاً عن امتلاك تلك الصفة. كأن يحب الفرد أن يكون عادلاً ولعجزه يحاول تقمص شخصية تاريخية.

5 سقاط: لعجز الفرد عن مواجهة نفسه بحقيقة ذاته فإنه يلقي ما بنفسه على

6 : ليخفي الفرد حقيقة ذاته يلجأ إلى إظهار عكس مشاعره فبالخيال في طبعه قد يتظاهر بالكرم المبالغ فيه.

7 : وهو العودة إلى مرحلة سابقة من مراحل النمو الجنسي. أحس بالفشل فإنه يتقهقر إلى مرحلة كان فيها سعيداً جداً ألا وهي المرحلة الفمية.

فحين الأزمات يلجأ الفرد إلى سلوكات تذكره بالمرحلة الفمية كأن يلجأ إلى التدخين

8 : تفريغ الفرد للطاقة من مجالات غير مرغوبة أو محمودة في مجالات

مرغوبة ومحترمة كتفريغ الطاقة الجنسية من خلال الصيام والرياضة.

9 . التعويض: يلجأ الفرد إلى التعويض عن مشاعر النقص لديه من خلال التركيز

على نشاط يظهر فيه تفوقه وإبداعه، فمثلاً طه حسين ركز على الجهو

في الأدب تعويضاً عن فقدانه البصر.

10 : عند فشل الفرد في تقبل الحقيقة يحاول عدم تصديقها فينكر حدوثها

كالأم التي فقدت ابنها فإنها لا تصدق وفاته في البداية.

11 : وفيها يميل الفرد إلى تركيب صور وخيالات وهمية يركب

أو يتخيل نفسه في مواقف وإشباع لم يكن بمقدوره أن يحققها في الواقع ومنها

12 : وهو نزعة الفرد نحو تدمير الذات أو الآخرين أو الممتلكات كطريقة

للتنفيس الانفعالي والتعبير عن الدفعات المكبوتة (13)..

والاقتصادي والثقافي التي كان بإمكانه عبرها صنع واقع جديد، ذلك أن المجتمع

الجزائري لم يتح لشبابه إلا دوراً واحداً هو دور المفعول به أو فيه أما دوري الفاعل

الرئيسي والثانوي فمنحها لفئات أخرى مسيطرة ومحتكرة

والاقتصادية، لم يبق أمام الشباب للتعبير ومحاولة الفعل إلا استغلال الفضاء

()

في الملاعب والشارع والأنشطة التجارية بآليات يضعها لنفسه بعيداً عن الضوابط

الرسمية ويمارس الفعل الثقافي والتعليمي من زاوية ضيقة جداً لا تكاد تفلت من سطوة

ما هو ديني.

رابعاً: أسباب الهجرة

لنهم ظاهرة الهجرة غير الشرعية (الهجرة) التي أصبحت تقلق بال الحكومات المستقبلية لا بد من تقصي أسبابها، والتي يمكن تلخيصها في أربعة عوامل رئيسية:

1- العوامل الاقتصادية

يتجلى في التباين في المستوى الاقتصادي بصورة واضحة بين الدول الطاردة

هذا التباين هو نتيجة لتذبذب وتيرة التنمية في هذه البلاد التي لازالت تعتمد أساساً في اقتصادياتها على الفلاحة والتعدين وهما قطاعان لا يضمنان استقراراً في ط الأول بالأمطار والثاني بأحوال السوق الدولية وهو ما له

2- سوق العمل

خلافاً لما نجده في دول الاستقبال، فإن النمو الديمغرافي، رغم الوضعية المتقدمة لما يسمى بالانتقال الديمغرافي في الدول الموفدة، لازال مرتفعاً نسبياً وهذا له على حجم السكان النشيطين وبالتالي على عرض العمل في سوق الشغل. وهكذا فإن البطالة تمس عدداً كبيراً من السكان وخاصة منهم الشباب والحاصلين على مؤهلات جامعية. و تقدر نسبة البطالة في الجزائر ب 23.7% حسب المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي. "النزوح إلى الهجرة" خاصة في شكلها غير القانوني.

ومن انعكاسات ظاهرة البطالة زيادة حجم الفقر كما ويشكل التباين في الأجور كذلك عاملاً للتحفيز على الهجرة حيث الحد الأدنى للأجور يفوق ب3 إلى 5 مرات المستوى الموجود في دول المغرب العربي، على أن هذا الحد لا يحترم أحياناً من

ولكن إذا كانت الظروف الاقتصادية تشكل عوامل أساسية في التحفيز على الهجرة، إلا أن ذلك لا يشرح كيف أن البعض يمر إلى مرحلة التطبيق دون البعض الآخر، هذا يعني أن قرار الهجرة تدفع إليه عوامل أ

3- العوامل المحفزة

تتجلى أساسا في ثلاث عوامل:

1) صورة النجاح الاجتماعي: الذي يظهره المهاجر عند عودته إلى بلده لقضاء العطلة، حيث يتفانى في إبراز مظاهر الغنى: سيارة، هدايا، استثمار في العقار الخ....

2) آثار الإعلام المرئي: فالثورة الإعلامية التي يعرفها العالم جعلت السكان حتى الفقراء منهم يستطيعون اقتناء الهوائيات التي تمكنهم من العيش عبر في عالم سحري يزرع فيهم الرغبة في الهجرة.

3) القرب الجغرافي: إضافة إلى هذه العوامل الاقتصادية والمحفزة، هناك عوامل

4- عوامل النداء

إن حلم الهجرة هو نتاج الممنوع، وهو رد فعل أمام غلق الأبواب أمام الهجرة الشرعية والسياسة التي تبنتها أوروبا في هذا المجال والتي كانت لها آثار عكسية حيث أجمت من وتيرة الهجرة السرية وجعلت كلفتها باهظة بالنسبة للمرشح للهجرة. (14)

خامسا: الإستراتيجيات المقترحة لمواجهة الظاهرة

لقد تبلورت قناعة مشتركة مضمونها أن محاربة الهجرة السرية تتطلب على المدى الطويل مواجهة الأسباب التي تقود إليها والتي تغلب عليها شروط الفقر وازدياد الفوارق وانسداد الأفق بسبب تنامي البطالة، ومن ثم لا مناص من سياسة تمكن من خلق فرص العمل واحترام الكرامة الإنسانية.

ومن ثم لا يبقى هذا الهدف ظرفياً، وإنما يندرج ضمن إستراتيجية بعيدة المدى تتطلب إصلاحات عميقة على مستوى دول المنبع ومساهمة مادية على مستوى هذا الهدف يتطلب

تنمية مستدامة قائمة على مشاريع وإنجازات ملموسة تسمح بتثبيت المواطنين في أماكن إقامتهم الأصلية، ذلك أن الأمل في القضاء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية سيكون ضعيفاً إذا لم يتم القضاء على كل الظروف الرئيسية التي تتسبب فيها، كما

ة تحسين التشريعات الخاصة بحقوق العمال، بحيث تكون أكثر اتساقاً مع المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، التي ينبغي أن تكون عنصراً رئيسياً في المناقشات حول مسألة الهجرة، كما ينبغي تضمينها في الاستراتيجيات الموضوعية من

أجل إدارة مسألة الهجرة، ومنه فإن الأمر يتعلق بإشكا

وبأصول مختلفة وتعبيرات ومميزات متنوعة إذا تم التحكم فيها، لكونها تستجيب لحاجيات موضوعية، ففي الشمال حيث تتجسد الحاجة بشكل جلي إلى اليد العاملة الأجنبية المؤهلة وغير المؤهلة، وفي الجنوب حيث يغادر الآلاف من الشباب، لأسباب

- () ()

(، في اتجاه الشمال الذي يستهويهم بشكل قوي، ويبرز الطابع المأساوي لهذه الإشكالية في مجال الأمن الإنساني والاستقرار.

إن إشكاليات الهجرة لن تجد حلاً جذرياً بسياسة القبضة الحديدية وتسييج الحدود، وإ

الأمل وتوفير شروط الاستقرار التي تساعد على البقاء والتثبيت بالموطن الأصلي. ويمكن أن تقوم المنظمات غير الحكومية أيضاً ببعض الأنشطة ضمن حملة تشارك فيها المنظمات الريفية لتحقيق هذه الأهداف خاصة أن منظمات المجتمع المدني يجب أن تلعب دوراً في تغيير المجتمع الريفي للأفضل، ونحن نعتقد أن توعية

وتأهيل الشباب للسفر القانوني وتوفير فرص العمل اللائقة في الريف، وتدريب منظمات المجتمع المدني لتقوم بتبني برامج متعلقة بتحسين حالة حقوق الإنسان، كما أن تطوير الإطار القانوني لتجريم الاتجار بالبشر والذي تقوم به عصابات منتشرة في الريف لتسفير الشباب واستغلال تدهور أوضاع حقوق الإنسان، بما يضمن مراعاة حقوق الإنسان للمهاجرين كما نصت عليه الاتفاقيات الدولية، وعقاب المتسببين في انتشار هذه الظاهرة بالإضافة إلى ضرورة تعاون كافة الجهات الحكومية وغير الحكومية، بما في ذلك حكومات الإتحاد الأوروبي في تأهيل الشباب للسفر بشكل قانوني، وعمل مشروعات لتشغيلهم وكـ

إن إصدار كتيبات للتعريف بالمشكلة وجوانبها وكيفية حلها، وتدريب الإعلاميين على تناول الإنساني للظاهرة لمعالجة كافة جوانبها، يمكن أن يساهم في نجاح التوعية بهذه الظاهرة وخطورتها على المجتمع بما يضمن تقدمه للأفضل، وكفالة

وستمكن عمليات مراقبة الحدود من حشد أدوات التحليل وترشيد نشر وحدات للمراقبة، كما ستمكن من مراقبة نقط التسرب التي يلجأ إليها المهاجرون السريون على طول الحدود، ويتيح إنشاء هذه الهيئة التوفر على جهاز فعال للتدخل

الهجرة.

ويمكن تلخيص تصورنا حول التخفيف من هذه الظاهرة في النقاط

التالية:

- أن تقوم وسائل الإعلام بتوعية الأسرة بظروف المجتمع وحثها على تخفيف الضغط

- الإعلان الجيد عن مشروعات التدريب أو الوظائف التي تقـ

-
- تفعيل البروتوكولات والاتفاقيات الموقعة مع الدول الأخرى للحفاظ على حقوق
- و توفير
- تحديد حد أدنى من الأجور داخل القطاع الخاص حتى لا يشعر الشباب
- أن تعمل وسائل الإعلام على توعية الشباب بمخاطر الهجرة غير الشرعية من خلال بث التجارب الفاشلة للهجرة غير الشرعية وعرض
- أن يكون لرجال الدين في المساجد دور في توعية الأسرة والشباب بمخاطر الهجرة غير الشرعية.
-
- يمة الهجرة غير شرعية، وتدريب الضباط على أحدث الأساليب العلمية لتمكينهم من كشف منافذ الهجرة غير الشرعية.
- أن تضع مؤسسات المجتمع المدني خطط غير تقليدية تعمل على توفير برامج عمل غير نمطية للشباب، و العمل على غرس قيم ومفاهيم المواطنة والانتماء لدى الشباب.
-
- توجيه خريجي الجامعات إلى مجالات العمل الصحيحة داخل الوطن.
- تقديم التسهيلات والضمانات الكفيلة لنجاح المشروعات الصغيرة التي يقوم بها
- لهوة بين طبقات المجتمع.

-

•

-

إقبالهم الدائم على الهجرة للخارج.

- أن تعمل الدولة على توفير احتياجات الشباب من خلال إتباع هرم " " للاحتياجات من أسفل إلى أعلى.

خلاصة

إن إشكاليات الحرقة لن تجد حلا جذريا بسياسة القبضة الحديدية وتسييج الحدود، وإنما بتضافر جهود الشركاء من أجل إصلاحات جذرية وعميقة للأنظمة

الأمم وتوفير شروط الاستقرار التي تساعد على البقاء والتشبث بالموطن الأصلي.

فشل الدولة والمجتمع في خلق ميكانيزمات إدماج للشباب حولهم من طاقة تنموية مضمونة وقوة إبداعية خلاقة إلى مصدر للمشاكل و

جعل الميزة الرئيسية لعلاقة الشباب بما هو سياسي يدخل في إطار الصراع، التنافر،

(15)، فالحرقة إذا صورة من صور المواجهة التي صارت طريقة يعبر بها

الشباب الجزائري عن يأسه وتمرده الحرقة مواجهة مباشرة مع الموت مواجهة لا يخاف

ولا يبالي بتبعاته، فهي نتاج لعاملين اثنين هما: داخلي يتحدد في عامل الطرد

الذي يمارسه الواقع المتأزم للمجتمع الجزائري بكل قطاعاته أما الثاني فخارجي يتمثل:

في عامل الاستقطاب.

المراجع:

- 1- جبهة التحرير الوطني الاتحاد العام للعمال الجزائريين، عرض عن الهجرة 1979
2.
- 2- سمية لعروسي، 2007، الهجرة السرية في المغرب موقع الأنترنت
-3
-4
- 5- 4algeria.com موقع انترنت
- 6- : الموقع الالكتروني www.ilo.org
- 7- www.wa-islamah.net
- 8- محمد أعبيد الزنتاني إبراهيم: الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية، المكتب العربي الحديث، مصر، 2008 149
- 9- علي عبد الرزاق حليبي: 2008
262
- 10- عبد الرزاق حليبي: 265
- 11- 266
- 12- فيروز زرارقة وآخرون: وراق سوسولوجية من دفتر الأزمة الجزائرية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 2010 133
- 13- Shilling, Marsella Consini, felonious and delinquent behavior, Journal of child clinical PSYCHOLOGY... .1983,1984
- 14- علي عبد الرزاق حليبي: 264-262
- 15- فيروز زرارقة وآخرون: أوراق سوسولوجية من دفتر الأزمة الجزائرية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 2010 133